مُقَدّمة

اللغة العربية التي تستعمل للتواصل بنوعيه العادي الذي يستخدم جملاً مغلقة، دوالها على أقدار مدلولاتها، والراقي الذي يستخدم جملاً محولة مفتوحة، يتطلب استكناه معانيها اللجوء إلى بنياتها العميقة المتوارية خلف بنياتها السطحية. ظل مفهوم التراكيب الإسنادية الأصلية يسجل اضطراباً جعله يفتقر إلى الانسجام بين جانبه النظري وجانبه التطبيقي. حيث يتعامل النحويون مع التراكيب الإسنادية الأصلية التي يسوغ السكوت عليها، المستقلة مبنى ومعنى تعاملهم مع التراكيب الإسنادية الأصلية التي تدخل في تركيب أكبر منها. وليس الأمر كذلك في الدراسات اللسانية الحديثة.

و من هنا كان منطلق هذا البحث هو تحقيق هدف أول يتمثل في وضع حد لذلك الاضطراب. بتعيين التراكيب التي يصح إطلاق مصطلح " الجملة " عليها، والتراكيب الإسنادية التي لا يصح أن يطلق عليها هذا المصطلح، من مبدإ اختلاف التركيبين الإسناديين في الدلالة والوظيفة، وسيحاول هذا البحث أن يقصر مصطلح " الجملة " على التراكيب الإسنادية الأصلية المقصودة لذاتها بالوقوف على وظائفها البيانية من حيث ورودها اسمية أو فعلية، ومن حيث البساطة والتركيب، ومن حيث الإثبات والنفي والتأكيد، ومن حيث ورودها توليدية أو تحويلية.

ولئن كانت كتب التراث العربي تحوي في بطونها مادة تنوء بها العقول في هذا الشأن مبثوثة وموزعة بين كتب النحو والبلاغة واللسانيات وسواها، فإن القارئ يجد معها وعورة المسالك. وشكاسة الترتيب. وبالتالي لم تكن تلك المادة النحوية تشد أزره وبخاصة بعد الفصل بين النحو والبلاغة. وإذا كانت بعض مؤلفات المحدثين تفطنت لبعض هذا الخلل، فإنه يسجل عليها اقتضاب للمادة التي تزخر بها الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية، ويسجل افتقارها للتيسير الذي يفك منغلقاتها. فضلاً عن أن الطرائق التي سلكت بها لا تزال تبقي للتعقيد حظاً قائماً.

ومن أهمية القرآن الكريم ومكانته تولدت رغبة الباحث في اختيار هذا النص الذي يعد رسالة لغوية غنية بما يرتبط ويحيط بموضوع الرسالة المنشود. لأنه الأجدر والأحق بمثل هذه الدراسة لاستيفائه معظم صور الجملة، ولأن هذا النص لم يشهد دراسة علمية موضوعية عرضت لهذه التراكيب الإسنادية بمختلف صورها على النحو الذي سلفت الإشارة إليه، فجاء الهدف الثاني من البحث، وهو الوقوف على صور تلك التراكيب الإسنادية في القرآن الكريم. ذلك أن الدراسات التي تناولت هذه التراكيب في القرآن الكريم لم تكن تتناولها على النحو الذي يجمع بين الوصف والتفسير المستمدين من ثنائية الأصل والفرع التي اعتمدها نحونا العربي المصطلح عليها في اللسانيات بثنائية البنية التوليدية والبنية التحويلية، لاستكناه معاني تلك التراكيب الإسنادية وتفسير دلالتها تفسيراً سليماً.

وقد أملت طبيعة الموضوع أن يكون مقسماً إلى أربعة فصول. الفصل الأول" التراكيب الإسنادية والتحولات التي تعتريها " وقد انطوى على مرتكزات أربعة هي بمثابة محطات لابد من الوقوف عندها للتزود باعتبار أنها المرجوع إليها لخوض غمار صور الجملة في المدونة المنشودة. نقف في المرتكز الأول على ثنائية الجملة والكلام لدى النحويين القدامى. ونعرض في المرتكز الثاني ثنائية الكلام والجملة عند الدارسين المحدثين.

و في المرتكز الثالث نعرض للجهود المبذولة في سبيل تطوير مفهوم الجملة والوحدة الإسنادية العربية. ونقف في المرتكز الثالث على الحاجة المسيسة إلى التمييز بين الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية بمثابة لنخرج من كل ما قدم بمفهوم دقيق نتبناه لكل من التركيب الإسنادي المقصود لذاته، والتركيب غير المستقل بنفسه، مع تحديد طبيعة كل نوع، والمصطلح الذي يصلح له.

ولما كان البحث يحاول أن يقدم للقارئ الأصول السليمة التي أنشئت عليها التراكيب الإسنادية الأصلية، لم يجد بداً من أن يشرح في المرتكز الرابع الشرح الذي يراه سديداً لمفهوم التحويل بأنواعه الأربعة، الذي أسيء فهمه، وترتب على ذلك أن التبس الفرق الذي بين الجملة أوالوحدة الإسنادية الفعلية وقسيمتها الاسمية من نحو"

البحث تيسر" أهي محولة بالاستبدال أم بالتقديم؟.

الفصل الثاني يعرض للبنية العميقة لصور الجملة الابتدائية والتفسيرية والقسمية والاعتراضية. ويأتي الفصل الثالث ليفردلتحليل البنية العميقة لصور الجملة الاستئنافية غير الشرطية.

أما الفصل الرابع فسيعالج البنية العميقة لصور الجملة الاستئنافية الشرطية.

ولما كان البحث يرنو إلى دراسة التراكيب الإسنادية الأصلية دراسة متشبعة باللسانيات التي تبرز ما في هذه المدونة من خصائص وثراء، فإنه بغية الوصول إلى ذلك اختار الباحث المنهج التحويلي التوليدي لكونه يتناول تغيير البنيات الشكلية المنبثقة عن أصل واحد، ولكونه لا يكتفي بالوصف السطحي، مع الاستعانة بالمنهج الوظيفي التحليلي التفسيري، الذي ينزع حين التحليل إلى التفسير والتعليل القريب المأخذ، اللصيق بالمعنى لصور التراكيب الإسنادية المحولة.

وإن طريقة سير هذا البحث هي أننا كنا نأخذ كل صورة من صور الجملة نموذجاً، نتكئ عليها ونحللها تحليلاً يفي بالغرض المتوخى بالتعرض إلى دلالتها بما تسمح الدراسة، ثم نقوم برصد الآيات الواردة على الصورة المشروحة باقتفاء آثارها في القرآن الكريم كله، بتعيين سورها وأرقام آياتها، وإحالة ذلك إلى هامش الصفحات حتى يسهل على القارئ المتابعة والمقارنة.

أرجو أن أكون قد آويت إلى ركن شديد حين اخترت هذه المدونة، وأن أكون من الذين أسهموا في إرساء دعائم فاعلة على درب التحليل اللساني العلمي لصور التراكيب الإسنادية. والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فهو الهادي إلى سواء السبيل.

د. رابح بومعزة